العنوسة في المجتمع العربي

سالمة عبدالله حمد حامد الشاعري (*)

الملخص

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَـئِنْ آتَيْتَنَـا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة الأعراف– الآية (189). فسبحانه من خالق حكيم لما خلق الرجل خلق له ما يؤنس وحدته، وما يكثر نسله، فخلق له المرأة، وجعلها مطلوبة لا طالبة، مخطوبة لا خاطبة، وهذا من باب التكريم لها. ويمكن القول إنه في عصرنا الحاضر انتشرت ظاهرة خطيرة جداً، وهي ظاهرة العنوسة التي أصبحت تجتاح المجتمعات العربية بشكل كبيراً جـداً وأصـبحت ظـاهرة ومعروفة لدى الأغلبية العظمى من الرجال والنساء. وقد تناول هذا البحث تعريف العنوسة وأنواعها ما بين قسرية واختيارية. والأسباب التي أدت إلى انتشارها في المجتمع، ودور الأسرة في حدوث هذه المشكلة إضافة إلى إسهام الشـباب فـي ظهورها وانتشارها، مع توضيح لبعض الإحصائيات الموجودة في العالم العربي خلال السنوات من 2003/1993م وكذلك مع طرح توضيحي لمخاطرها الدينية، والصحية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المخاطر الأخرى؛ وأيضاً تبيان وجهة نظر الإسلام في ظاهرة العنوسة.

وختمت موضوعات هذا البحث بجزئية مهمة جداً طرح من خلالها علاج مشكلة العنوسة من وجهة نظر كاتبة هذا البحث.

* عضو هيئة تدريس بقسم اجتماع – كلية الآداب
جامعة عمر المختار بليبيا.

Spinstevity in Arabic Society

Salma Abdullah

Abstract

God , praised, said," He who created you, from one soul, and made from it its spouse, to rest along with it, so, when performed, a simple load was lifted, so it passed, and when it burdened, they prayed to God, that if he sent them the better, that they be from the thankful".(El-Araf) –verse 189)o, praised he, who created, the Judicious, for creating the man and created for him, entertains his loneliness, and who increases his offspring's, so he created the woman for him, and made her desired and not a desirer, engaged not engage able, and that is from the honour her perspective. It can be said that in our current era, a dangerous phenomena has spread, and it is the spinstevity phenomena that has struck the Arabian societies in a very large form, and has become a very known phenomena to the large majority of men and women. This research deals with identifying spinster and its types, as whether it is by choice or by force. The reasons of its outspread in society and the role of families in the occurrence of the problem, as well as the participation of youth, in its evolving and spreading, as well as clarifying some statistics present in the Arab world through the years between 1993/2003 , and, as well as explanatory suggestions to the religious endangers as well as , health, social and economic endangers, and others, too. Also, the Islam's point of view clarification of the spinster phenomena.

The objectives were concluded with a very important note, from which it was suggested a treatment to the spinster problem, from this researcher's point of view.

تمهيد :

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الجليل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1]، فسبحانه من خالق حكيم لما خلق الرجل خلق له ما يؤنس وحدته، وما يكثر نسله، فخلق له المرأة، وجعلها مطلوبة لا طالبة، مخطوبة لا خاطبة، وهذا من باب التكريم لها.

هنا يمكن القول إنه في عصرنا الحاضر انتشرت ظاهرة خطيرة جدا وهي نذير خطر يداهم مجتمعاتنا العربية ألا وهي ظاهرة العنوسة، أو تأخر سن الزواج كما يسميها البعض، أو جلوس المرأة في بيت أهلها حتى تأتيها المنية ولم تلحق بركب الزواج.

تعريف العنوسة :

العنوسة كلمة عربية فصيحة، فالعرب تقول: "عنست المرأة تعنس بالضم عنوسا وعناسا، وهي عانس، من نسوة عنس وعوانس، وعنست، وهي معنس، وعنسها أهلها: حبسوها عن الأزواج حتى جازت فناء السن ولما تعجز"[2].

ولكن هل العنوسة صفة للنساء فقط؟ بالطبع لا، إنما هي للرجال أيضا، وجاء في لسان العرب أيضا: "العانس من الرجال والنساء: الذي يبقى زمانا بعد أن يدرك لا يتزوج، وأكثر ما يستعمل في النساء"[3].

فالعنوسة مصطلح اجتماعي وليست لفظا علميا، ومن ثم فهو متغير يتغير بتغير الظروف والأوضاع الاجتماعية، والتطور الزمني للمجتمع.

كما يختلف المفهوم في المجتمع القروي عن المجتمع المدني، فمفهوم العنوسة في المصطلح الشعبي العامي يعني (البائرة) ويقصد بها كل فتاة تأخرت عن سن الزواج المتفق عليه اجتماعيا، وفي عرف المجتمع أن (البائرة) هي الفتاة التي لم تعد صالحة للزواج، لأن قطار الزمن تجاوزها.

والعنوسة في المجتمع المدني تعني السن التي تصل إليها الفتاة دون زواج مقارنة بالسن الشائعة والمتعارف عليها وسط أسرتها والمجتمع، وكل مجتمع يحدد سنا للزواج.

أنواع العنوسة :

للعنوسة نوعان هما:

[1] عنوسة قسرية: والتي تحدث باستمرار العمر دون زواج سواء كان ذلك للمرأة أو الرجل.

[2] عنوسة اختيارية: وهي تتم بمطلق الإدارة وبكامل التصميم من قبل الفتاة أو الشاب، وربما تكون ذلك لعدم الرغبة في تحمل المسئولية للأسرة والأطفال، وهذا ينطبق على الجنسين – كما ذكرت سابقا – أو قد يكون لأسباب نفسية...

الأسباب التي أدت إلى انتشار العنوسة في المجتمع :

تتعدد الأسباب وتتداخل مع بعضها البعض في تفشي ظاهرة العنوسة منها ما يتعلق بالأسرة والشباب والفتيات، ومنها ما يتعلق بالمجتمع ونظمه وتقاليده وتنشئة أفراده، وما يبثه من ثقافة في عقول أبنائه تسبب ازدياد ظاهرة العنوسة، وكذلك الأسباب المادية والدينية والتربوية، والعادات والتقاليد، وغيرها من الأسباب الأخرى. وهذه الأسباب هي على النحو التالي:

أولا : الأسباب المادية : وتمثلت في:

1- **ضعف الدخل العام للشباب :** خاصة مع تفاقم البطالة في معظم المجتمعات، وتقلص فرص العمل للجنسين، الأمر الذي تعذر على الشاب الحصول على فرصة عمل تدر عليه دخلا ثابتا يمكنه من تحمل أعباء الزواج.

2- **غلاء المعيشة وارتفاع تكاليف الحياة :** ومنها تجهيزات الأفراح، والمغالاة في المهور، وتكاليف تأثيث البيت والإنفاق على الأولاد، وهي أمور تدعو إلى إحباط الشاب وتصرفه عن التفكير في الزواج[4].

3- **الإكثار من الطلبات على الشاب المتقدم للزواج :** وذلك بتحميله وتكليفه مصاريف فوق طاقته تفرضها عليه الأعراف الاجتماعية السائدة، مما يجعله يعزف عن الزواج، أو يعمل على الاقتران بفتاة من الخارج.

4- **تحميل الفتاة وأهلها جزءا كبيرا من تكاليف ومصاريف الزواج، وفتح البيت :** وهذا كما هو واضح في بعض البلدان العربية مما يثقل كاهل ولي الأمر، خاصة إذا كثر عدد بناته.

لقد أصبح المجتمع العربي يتخبط بين عاداته وتقاليده وبين مفاهيم الحضارة، وتجسد ذلك في، عدم تفهم الأسر للتحولات الاقتصادية وما صاحبها من أزمات وتغيرات اجتماعية فهي لا تزال تطالب من يتقدم للزواج من بناتها بمطالب يعجز عن تلبيتها، الأمر الذي ينتج عنه ظهور مشكلة العنوسة التي تحولت وفقا لهذا الاتجاه إلى مشكلة مادية بحتة.

ثانيا : أسباب تربوية : وتمثلت في :

1- **غياب الوازع الديني :** ونتج عنه انتشار الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأمر الذي يتيح لبعض الفئات البشرية من الجنسين تلبية حاجاته الغريزية والشهوانية خارج نطاق الحياة الزوجية.

2- **كثرة المشاكل المتعلقة بالطلاق والتفكك الأسري :** وهي ناتجة عن التزامات

الزوجية المستمرة والخيانات التي تكره البعض في الزواج، أو تخوفه منه.

3- **وسائل الإعلام :** حيث تسهم من خلال برامجها وأفلامها في تكريس مجموعة من المفاهيم والأفكار المغلوطة أو المبالغ فيها عن الحياة الزوجية وربطها بالمشاكل والخلافات، مع تبني وترويج أساليب غريبة عن مجتمعاتنا.

4- **المناهج التعليمية :** وما تلعبه من قصور واضح في نشر الوعي والثقافة العائلية لدى الناشئة والتلاميذ.

5- **المشكلة السكانية :** والتي تتطلب من المقبل على الزواج الانتظار لفترات طويلة جدا للحصول على سكن من الدولة.

ثالثا : أسباب اجتماعية : تمثلت في :

1- **التشدد في التقاليد الاجتماعية :** وذلك بتكريس الفوارق الطبقية وتشجيع العصبية القبلية وحصر الزواج في دوائر ضيقة مع الأقارب والأهل.

2- **التأثير في معايير الاختيار لدى الشاب والفتاة :** وذلك من خلال دفعهم للمبالغة في مواصفات وشروط شريك حياتهم، اعتقادا منهم بأن هذا هو الصواب في تكوين حياة زوجية سعيدة.

3- **نظرة المجتمع للتعدد** : والتي بدورها تدفع بالفتاة وأهلها إلى تفضيل عنوسة ابنتهم على أن تكون زوجة ثانية.

4- **السحر :** الذي يلجأ إليه بعض ضعاف النفوس والإيمان والربط لشاب، أو لفتاة معينة ووقف حالها وزواجها.

5- **الخوف من الحياة الأسرية والهرب من المسئولية :** كثير من الشباب والشابات يخافون من اقتحام الحياة الأسرية، ربما لأنه رأى فشل العلاقة بين أبيه وأمه، والخوف الشديد من تحمل المسئولية خوفا من ضيق الرزق أو عدم جودة التربية.

6- **اختلاف المذاهب :** وفيه يتم رفض المتقدم للزواج لاعتبارات دينية وطائفية.

دور الأسرة في حدوث مشكلة العنوسة :

تؤدي الأسرة دورا مهما في حياة الأبناء سواء بالسلب أو الإيجاب، حيث إن حياة الإنسان على الأرض تمثل وحدة متكاملة تبدأ من الطفولة وتنتهي بانتهاء النفس الأخير وانتقال الروح إلى بارئها. ولذلك فإن سلوك الإنسان أياً كان عمره فإنه يرجع إلى عهد الطفولة.

فالانطباعات التي يتلقاها الطفل في صغره من المحيطين به هي من أقوى العوامل في تكوين شخصيته ونفسيته عندما يكبر، فالابن الذي تتفتح عيناه على أب يعامل زوجته معاملة قاسية وسيئة، فعندما يكبر سيكون نسخة سيئة من والده، فإما أن يكره الحياة الزوجية، وإما أن يضرب ويعزف نهائيا عن الزواج، وكذلك الحال بالنسبة للفتاة.

ودور الآباء واضح في خلق العديد من المشكلات للفتيات ويجعلهن أسيرات للقلق والكآبة مع حرمانهن من التمتع بحقهن الشرعي في الزواج والأمومة، وتكوين أسر صغيرة، وذلك عن طريق وضع عراقيل من المتطلبات الخيالية والباهظة والتي لا يستطيع تنفيذها الشاب المقبل على الزواج، وتتمثل في:

1- **الكبيرة أولا :** وذلك عن طريق إصرار الأب على عدم تزويج الفتاة الصغرى قبل الكبرى، وتتضح هذه الظاهرة بوضوح في الأسر التي فيها عدد من الفتيات، إذ يحكم عليهن بالانتظار بسبب أختهن الكبرى والتي ربما لا تتزوج أبدا، وبذلك يحكم على بناته كلهن بالتعنيس.

2- **المغالاة في المهور :** وذلك بسبب طمع بعض أولياء الأمور وعدم إدراكهم لقيمة الزواج وأهدافه الأساسية، إضافة إلى التقليد الذي استولى على مشاعر الشباب وسلبهم تفكيرهم. والمغالاة في المهر مكروهة، حيث إن الأصل في المهور اليسر، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: "أعظم النساء بركة أيسيرهن مئونة"[5]، وقوله أيضا: "خير النكاح أيسره"[6]، وصدق قول الحق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[7].

3- **المبالغة في تكاليف الزواج :** وهي تعد مهراً آخر يقدم للزوجة، ونفقات ثقيلة يعجز عن تحملها الخاطب في كثير من الأحيان، وهي من الأعراف الاجتماعية المستحكمة التي ما أنزل الله بها من سلطان. ومن هذه التكاليف هدايا الخطبة، وهدايا المواسم والمناسبات وهدايا صبيحة العرس، ونفقات حفلات العقد، ونفقات حفلات الزفاف، ونفقات المهنئين، بالإضافة إلى إقامة الولائم وذبح الذبائح، إلى غير ذلك من النفقات التي بمجرد التفكير فيها من قبل الشاب ذي الدخل المحدود يفضل أن يعيش في عزوبية.

4- **الثراء الشديد أو الفقر المدقع :** الغنى والثراء الفاحش لبعض العائلات يكون أحيانا نقمة على الفتيات فيها؛ إذ يحجم السواد الأعظم من الشباب عن طرق أبواب بيوت فتيات العائلات الغنية، باعتباره يعرف الجواب مسبقا، ولا داعي لإحراج أنفسهم، وكذلك هناك أسر لها مقال ومقام محترم، ولكن ضيق حالها وفقرها يحول دون الاقتراب من بناتها من قبل بعض الفتيان الآخرين.

5- **التشدد في الشروط والبنت لابن عمها :** بالإضافة إلى المهر الغالي، يشترط بعض الآباء بعض الأمور في الشاب المتقدم، ويتشددون فيها، مثل الجاه، والغنى، والعائلة المعروفة، ومستوى تعليمي ووظيفي متقدم، ومركز اجتماعي مرموق وهكذا، وتبرز هذه الظاهرة لدى التجار وأصحاب الأملاك،والعائلات الكبيرة والمشهورة في المجتمع.

كما تحرص بعض العائلات، للمحافظة على اسم العائلة وثروتها، على تزويج البنت لابن عمها، وفي بعض الأحيان لابن خالها، أو لابن خالتها، ويتم ذلك

في سن مبكرة، ودون الرجوع إلى من يعنيهم الأمر، أو مشاورتهم،وخاصة الشاب الذي يعثر على شريكة حياته في محيط الدراسة، أو العمل، ويتزوجها فعلا، فتسقط ابنة عمه في دوامة العنوسة.

6- إجبار الوالد ابنته على الزواج ممن تكره، أو دون أخذ رأيها، أو تزويجها لتحقيق مصلحة شخصية له، عندها ترفض الفتاة الزواج نهائيا لكي تغلق على أبيها هذا الباب، أو يتعمد مثلاً الأب إبقاء ابنته عانسا إما لشدة حبه لها، أو لوفاة زوجته وحاجته إلى من يخدمه بعد تقدمه في السن.

7- **ترك اليد المطلقة للنساء في التصرف في الخطبة :** ولعل من أكثر العقبات التي تقف في طريق الزواج وتساعد على اتساع رقعة العزوبة والعنوسة ترك المجال للنساء في أن يتصرفن بأمور الخطبة كيف أردن، وأن يتدخلن في شئون الزواج حيث شئن، فكم سمعنا عن زواج كاد يتم، وعن عقد نكاح كاد ينتهي، وإذا بسوء تصرف بعض النساء، وطيش تدخلهن ينقطع الحبل، وتنفصم الرابطة، وربما تنشأ العداوة بين الأسرتين، وهكذا كما للوالد الدور الفعال في قضية العنوسة وانتشارها، كذلك الحال بالنسبة للأم وذلك عن طريق التدخل السافر في حياة أبنائهم، والتحكم في مصائرهم وتحويل حياتهم إلى سجن ملئ بالكآبة والحسرة والندم على ضياع سنوات العمر بدون فائدة أو قيمة. إنه تخل عن المسئولية التي حملها الله سبحانه وتعالى للآباء والأمهات، كما قال المصطفى ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(8).

إسهام الشباب في انتشار ظاهرة العنوسة :

إن الشباب يسهم بشكل أو بآخر في إحداث مشكلة العنوسة في المجتمع، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب المتمثلة في الآتي:

1- **ضعف الوازع الديني :** إن ضعف الوازع الديني في نفوس الشباب، وتبلد الشعور بالمسئولية لديهم لمن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار العنوسة وما يتبعها من مشكلات أخرى. فكيف يفكر الشباب بالزواج وقد تيسرت له سبل الفساد من أفلام ماجنة وعري وصور فاضحة فاحشة تروي نهمهم الغريزي، بطريق محرم وذلك عن طريق الممارسات الجنسية المحرمة، والتوسع في العلاقات مع الجنس الآخر دون زواج سواء داخل البلد أو خلال السفر إلى الخارج، وهي علاقات ليس فيها أي تحمل مسئولية أو التزام، وهذا كله ينتج عنه الفساد والانحلال الأخلاقي، كما يلجأ بعض الشباب إلى الانصراف عن الزواج لأنه مكتفٍ بارتباطاته الجنسية المنحرفة من بني جنسه، وكذلك الفتيات تلك الارتباطات تعرف بالعلاقات المثلية الجنسية.

فلو كان عند هؤلاء الشباب من الوازع الديني ما يمنعهم عن الشر، ومن مراقبة الله ما تحجبهم عن الفساد لما خاضوا في خضم هذه الرذيلة، بل فكروا جديا بالزواج لإشباع حاجتهم بالطريق الصحيح والمشروع.

وعلاج هذه الأمراض السيئة لا يكون إلا بالتربية السليمة والصالحة على تعاليم الدين الإسلامي منذ نعومة الأظفار والخشية من الله، وبهذا ينشأ إنسانا سويا لا تستهويه المادة، ولا تملكه الشهوة.

2- **أسباب عاطفية :** فقد يتعرض الشاب لفشل الخطوبة أكثر من مرة، أو لمروره بقصة حب عاطفية انتهت بالانفصال نتيجة ارتباط الفتاة التي أحبها بالزواج من شخص آخر، مما نتج عنه الإحباط وخيبة الأمل، إضافة إلى التأثر بوسائل الإعلام وما تنشره من قصص وآراء وتصورات عن الزواج، وكيف يكون مقبرة للحب بين الزوجين، وقد يحدث التأخر في الزواج نتيجة الغربة والإقامة بالخارج لدواعي العمل، أو لأسباب دراسية، أو حتى علاجية أو إعجابه بفتاة ما في الخارج فتزوجها رغبة منه في تحصين نفسه من الوقوع في الحرام وكذلك ينطبق على الفتيات.

3- **أسباب نفسية :** وتتمثل في عزوف الشاب عن الجنس الآخر، وكره الارتباط به إما بسبب التزمت الزائد، أو ربط العلاقة الجنسية بالرذيلة والانحلال، ويمكن أن يكون الخوف من الزواج نتيجة التأثيرات السيئة الناجمة عن التفكك الأسري في العائلة والخلافات المستمرة بين الوالدين وما نتج عنها عدم الشعور بالأمن والاستقرار، أو الخوف من تحمل مسئولية الزواج وإنجاب أطفال وتربيتهم وتعليمهم، وأيضا الشعور بالنقص الناتج عن وجود عيوب أو عاهات خلقية واضحة في شخصية الشاب أو غير واضحة بمعنى داخلية خفية، وقد تكون لديه أزمة نفسية ناتجة عن قصة زواج سابقة نتج عنها الطلاق، وسببت له الانطواء والعزلة. وتتعرض الفتاة أيضا لمثل هذه الأسباب النفسية.

4- **أسباب اجتماعية :** يشترط الشاب في الفتاة بعض المواصفات التي من الصعب، وليس المستحيل، تجمعها في فتاة واحدة: كمبالغة في المواصفات الشكلية والجسمية للفتاة مع إهمال صفات أخرى كالأخلاق والأدب، وتفضيل الفتاة الصغيرة، وهو من العادات المتوارثة القائمة على فكرة سهولة التحكم بالفتاة الصغيرة والسيطرة عليها. وأيضا النظرة غير الواقعية لما يجب أن تكون عليه الزوجة من مثالية وشاعرية وتفان في خدمة زوجها؟!!

وأسباب أخرى مثل تحمل إعالة الأسرة بسبب أنه الأخ الأكبر والمعيل الوحيد لها بعد وفاة الأب أو عجزه عن العمل. وأيضا الفقر والبطالة وعجز الشخص عن توفير احتياجات الزواج، والمشاكل الصحية وحالات العجز أو الضعف الجنسي أو المرض العضوي، وأيضا لا ننسى الإدمان على المسكرات والمخدرات.

هذه الأسباب جميعها تشترك فيها الفتاة بصورة أو بأخرى الأمر الذي أدى إلى مشاركة كلا الجنسين في ظهور مشكلة العنوسة في المجتمع وانتشارها إما بالعزوف عن الزواج أو المشاركة في صعود نسبتها إلى الأعلى.

العنوسة في العالم العربي (أرقام وإحصائيات) :

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة، أفرزتها الحياة المعاصرة، وهي لا تقتصر على الفتيات فحسب وإنما يدخل في نطاقها الشباب أيضا، وهي آفة خطيرة أصابت كل المجتمعات، وإن اختلفت درجة ظهورها وحدتها وخطورتها من مجتمع لآخر تبعا لظروفه الاقتصادية والاجتماعية، وتركيبته السكانية، وعاداته وتقاليده، وتشير الدراسات إلى وجود أكثر من خمسة عشر مليون عانس في المجتمعات العربية. والجدول التالي يوضح لنا نسبة العنوسة في العالم العربي خلال عامي 2008–2009م من كلا الجنسين.

البلد	نسبة العنوسة[9]
الكويت	%35
قطر	%35
البحرين	%35
الإمارات العربية المتحدة	%35
السعودية	%30
اليمن	%30
ليبيا	%30
السودان	%20
الصومال	%20
سلطنة عمان	%10
المغرب	%10
سوريا	60% للإناث – 50% للذكور
لبنان	%5
الأردن	%5
فلسطين	%1
العراق	%85
مصر	28.4% للإناث – 29.7% للذكور

ولو رجعنا قليلا إلى الوراء بين عامي 1993–2003م لوجدنا نسبة العنوسة في الدول العربية تختلف قليلا بين ارتفاع وانخفاض عما هي عليه بين عامي 2008–2009م، فلو لاحظنا **الكويت** لوجدنا أن إجمالي عدد العوانس

والمطلقات والأرامل إرتفع إلى نحو أكثر من (40.000) امرأة، وتشكل نسبة العوانس والمطلقات والأرامل نحو (40%) من إجمالي عدد النساء في سن الزواج اللاتي فوق العشرين عاما، وتقول الأرقام إن نسبة العوانس في الكويت بلغت (13%) من البنات وهي في تزايد مستمر[10].

فقد أوضحت دراسة قامت بها (الإدارة المركزية للإحصاء بوزارة التخطيط الكويتي) أن هناك ميلا متزايدا لتأجيل الزواج، حيث ارتفعت نسبة الإناث اللواتي لم يسبق لهن الزواج من (58%) للفئة العمرية (15–19) إلى (80%) خلال خمسة عشر عاما، ومن (16%) للفئة العمرية (30–40) إلى (39%) للفئة العمرية (20–40) خلال الفترة نفسها، وأرجعت الدراسات ذلك إلى ازدياد فرص التعليم والإقبال عليه، وعلى العمل[11].

وفي **المملكة العربية السعودية** : أظهرت دراسة ميدانية قام بها الدكتور (حمود ضاوي القثامي) بجريدة اليوم، أن للزواج أثرا فى نفسية الفتاة، خاصة هذه الأيام، وأن الزواج أصبح همها الأول، كما أن الفتاة السعودية تعاني من عزوف الشباب عن الزواج منها، وترفض بشدة غلاء المهور، وما يفرضه أولياء الأمور من شروط[12].

إن الإحصائيات الرسمية التي صدرت عام (1999م) تشير إلى أن ثلث عدد الفتيات السعوديات بلغن سن الزواج، وأن عدد من تجاوزن سن الزواج بلغ حوالي مليون ونصف مليون فتاة من بين نحو أربعة ملايين فتاة.

وفي **الإمارات العربية المتحدة** : أظهرت دراسة سابقة عن أسباب تأخر سن الزواج: أن حوالي (50%) من الشباب يرون أن الشروط التعجيزية التي يضعها الأهل تقف حجر عثرة في طريق إتمام زواجهم المبكر، وأنها السبب في عزوفهم عن الزواج. كما أن (40%) من الفتيات يرين أن الشباب حريص على الزواج من مواطنات مهما كانت الظروف الاقتصادية، و(65%) من الشباب يقولون: إن الفتاة تؤجل الموافقة على الزواج في انتظار تقدم الأفضل.

وجاء في الدراسة التي قامت بها إحدى الجمعيات النسائية بالإمارات أن الحل العملي هو سن قوانين تحدد المهور وتكاليف الزواج، وقد أيد هذا العمل (55%) من الشباب، و(50%) من الفتيات، ومع ذلك قد ذكرت بعض المصادر أن نسبة العنوسة بين الفتيات وصلت إلى (68%) وهذا يعني أنه في كل بيت إماراتي عانسا، ويقابل ظاهرة عنوسة الفتيات عزوف الشباب عن الزواج، وقد وصل الأمر إلى أن حوالي (20) ألف رجل أعرضوا عن الزواج، سواء كان ذلك بإرادتهم، أو رغما عنهم[13].

وفي **جمهورية مصر العربية** : كشفت دراسة رسمية أعدها الجهاز

المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء في القاهرة عام 1999م، ارتفاع نسبة غير المتزوجين بين الشباب المصري إلى (37%)، وأن عدد الشباب والشابات العوانس – الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من دون زواج – وصل إلى أكثر من تسعة ملايين نسمة من تعداد السكان البالغ أربع وستين مليون نسمة بينهم ثلاث ملايين وسبعمائة وثلاث وسبعين فتاة، وقرابة ست ملايين شاب غير متزوج.

وفي **المغرب** نجده أن سن العنوسة بالنسبة للفتاة في العالم القروي يحدد بـ (20 سنة)، أما في العالم الحضري فقد تصل هذه السن إلى (30 سنة)، ولقد بينت بعض الدراسات التي أجريت في المغرب حول هذا الموضوع وجود حوالي ثمانية ملايين من العوانس في المغرب خلال عام (2001م).

وفي **سوريا** ووفقا لأرقام المجموعة الإحصائية السورية عام (1995م) هناك (82.4%) من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين (20–24) عاما لم يتزوجن أبدا، و(60%) من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين (25–29) عاما لم يتزوجن أبدا أيضا، بينما بلغت نسبة اللاتي تجاوزن (39) عاما دون زواج إلى (21.3%)، وهو ما يعني أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات، كما كشفت المجموعة الإحصائية أن أكثر من (50%) من الشباب السورين الذين وصلوا إلى سن الزواج عازفون عن الزواج – أو عجزوا عنه – وذلك بسبب عدم قدرتهم المادية على ذلك،وعدم توفر المسكن الملائم للزواج.

وفي **العراق** يشهد المجتمع العراقي درجة عالية من العنوسة وتأخر سن الزواج بين أعمار (18–45) سنة، وذكرت جريدة الجيران إحصائيات تقول فيها: إن نسبة الفتيات العوانس في العراق تزيد على (30%) ويلاحظ بذلك أنه لا تكاد تخلو عائلة عراقية من عدد العوانس في البيت أو عدد أقل منه من العزاب ضمن محيط القرابة العائلية، حيث تشكل المرأة العراقية نسبة (60%) من سكان العراق وهذا الفارق الكبير في عدد النساء العراقيات يرجع إلى خسارة العراق لشبابها بسبب الحروب التي فرضت على أبنائها[14].

وفي **الأردن** زادت نسبة العنوسة نتيجة العديد من العقبات التي تقف في طريق الزواج وهي مشكلة السكن والمغالاة في المهور والمغالاة في نفقات الأعراس والحفلات التي تقام بمناسبة الزواج، وأظهرت بعض الدراسات الأردنية أن ظاهرة العنوسة آخذة في التفاقم بعد أن ارتفع متوسط سن الزواج في عام (1998م) إلى (28) عاما للذكور، و(25) عاما للإناث، في حين أنه كان عام (1961م) هو (20) عاما للذكور، و(17) عاما للإناث. وحسب تقرير صادر عن (جمعية العفاف الخيرية) فإن نسبة السكان المتزوجين من الذكور انخفضت من (60%) عام (1979م) إلى (50%) عام (1998م)، وازدادت نسبة العازبين من

(38%) عام (1979م) إلى (48%) عام (1998م).

وفي **الجزائر** ذكر الديوان الجزائري للإحصاء أن أكثر من (51%) من نساء الجزائر الذين بلغن سن الإنجاب واجهن خطر العنوسة، وأن أربعة ملايين فتاة لم يجدن من يتزوجهن رغم تجاوزهن أربعا وثلاثين عاما، وأوضحت الدراسة التي أجريت بالاشتراك بين خبراء من (منظمة التنمية التابعة للأمم المتحدة) وباحثين جزائريين أن (77.5%) من السيدات محل الدراسة تعرضن للضرب، وتم نقلهن للمستشفيات، وأن (76.6%) من بينهن ما زلن محتفظات بآثار هذا التعدي، وبينت أن المرأة في الجزائر تعامل معاملة سيئة من قبل الرجل، سواء أكان الأب، أو الزوج، أو الأخ. وقد أرجع (64%) من السيدات محل الدراسة سبب عنف الرجال تجاه المرأة الجزائرية إلى أنهن عاطلات، وأن (30.5%) من النساء بينت هذا العنف بسبب الرجولة، بينما أرجعت (10.2%) السبب إلى المشاكل الاجتماعية كالفقر والمرض.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها الأولى من نوعها التي تتحدث عن أوضاع المرأة الجزائرية بحرية كاملة.

ويشار إلى أن ظاهرة العنوسة المتفشية في الجزائر تعود للأوضاع الاقتصادية القاسية التي يواجهها اقتصاد البلاد منذ بداية الاضطرابات عام (1991م)، وهو ما تسبب في زيادة البطالة وهجرة بعض الجزائريين لأوروبا للبحث عن عمل.

وفي **تونس** بين آخر مسح للسكان عام (2000م) تأخر سن الزواج، حيث تبين أن نسبة الرجال غير المتزوجين الذين تتراوح أعمارهم بين (25–29) سنة، قد مرت من (71%) خلال عام (1994م) إلى نسبة (81.1%)، أما في صفوف النساء فقد بدا الأمر للبعض مثيرا أكثر للقلق، حيث قفزت نسبة الإناث غير المتزوجات، واللاتي تتراوح أعمارهن بين (20–24) سنة إلى حدود (79.7%) من مجموع هذه الفئة العمرية. أما الإناث اللاتي يتراوح سنهن بين (25–29) عاما، فقد بلغت نسبة العازبات منهن (47.3%) من المجموع الإجمالي لهذه الشريحة.

وفي **السودان** نشرت جريدة (الخليج الإماراتية) تقريرا قالت فيه: إن عدد المتزوجات من جملة نساء السودان بلغ في شمالي البلاد حوالي (6 ملايين و375 ألف و89 امرأة)، ولم يتطرق التقرير بصورة مباشرة إلى عدد النساء غير المتزوجات، إلا أنه أورد أن عدد النساء في الفئة العمرية للزواج من (15–49) سنة قد وصل إلى (7 ملايين و513 ألف امرأة) مقابل (3 ملايين و650 ألفا) من الرجال لنفس الفئة، وقد كشف هذا التقرير واقعا خطيرا لم يسبق أن عاشه المجتمع السوداني، حيث أظهر الفجوة الهائلة بين الرجال والنساء غير المتزوجين

(امرأتين مقابل رجل واحد) [15].

مخاطر العنوسة :

لا شك أن عزوف الكثير من الفتيات والشباب عن الزواج له عواقب ومخاطر وآثار كثيرة على المجتمع الذي يتشكل بواسطة الجنسين ذكور وإناث. سواء كانت هذه المخاطر نفسية أم اقتصادية أم اجتماعية أو أخلاقية وسلوكية، لاسيما في هذا العصر الذي توافرت فيه كافة السبل المنحرفة لقضاء الرذيلة بشتى أنواعها وأشكالها والوقوع في شباك الفساد الأخلاقي. وهذه المخاطر هي:

أولا : المخاطر والآثار الدينية : تمثلت في :

[1] تعطيل النسل الشرعي للبشرية : والمقصود بها استخلاف الناس في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[16]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ﴾[17]، أي يخلف بعضكم بعضا، جيلا من بعد جيل، وهذا الاستخلاف هو بوجود النسل والذرية التي بابها الحلال هو الزواج.

[2] مخالفة لشرع الله : الذي أمر بتزويج الأبكار، وحث الشباب على المسارعة في الاعتصام بهذا الأمر المحبب إليه، فالوصول بالمرأة والرجل إلى هذه الحال فيه مخالفة لصريح القرآن وصحيح سنة النبي ﷺ، حيث جاء في الكتاب الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[18].

ويقول **الإمام أحمد:** "ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي ﷺ تزوج أربع عشرة امرأة، ومات عن تسع، لو كان بشر ابن الحارث تزوج كان قد أتم أمره كله، لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا، وقد كان النبي ﷺ يصبح وما عندهم شيء، وكان يختار النكاح ويحث عليه، وينهي عن التبتل، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق"[19].

[3] تقليل عدد المسلمين : ومخالفة أمر الرسول الأمين في قوله: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم"[20].

[4] غلق أبواب الخير والأجر على العبد : وأقصد هنا الرجل والمرأة الذين لم يتزوجا، فيحرمان أجر التربية الحسنة للأولاد، ويحرمان أجر حسن المعاشرة، وحسن إطاعة الزوجة لزوجها ويحرمان الولد الصالح.

ثانيا : الآثار الصحية للعنوسة :

ذم الإسلام العزوبة، وذلك لما لها من آثار سلبية خطيرة على الفرد والمجتمع، فمن المعلوم يقينا أن العنوسة إذا انتشرت في أمة من الأمم بين شبابها وشاباتها فإن هذا يعني أنهم اتجهوا في حياتهم الاجتماعية إلى حياة الفساد والمجون والانحلال، وإذا

انتشرت الرذيلة والزنا في أمة ما أصيبت بالأمراض والأوجاع التي تنهك القوى وتفتك بالجسم وهذه الأمراض متمثلة في:

1 - **مرض السيلان:** وهو مرض يسبب التهابا حادا، أو مرضا في الرحم والخصيتين، قد يؤدي إلى العقم.
2 - **مرض الزهري:** وهو مرض يكثر بالزنا ويسبب التهابات جلدية ومفصلية وعظيمة وعضلية وقلبية وبطنية وكبدية.
3 - **مرض التقرحات الجنسية:** يسبب التهابات في العقد البلغمية، قد تؤدي إلى خراجات قيحية مزمنة، والتهابات في المجاري البولية.
4 - **مرض القرح اللين:** ينتقل عن طريق الزنا ويسبب تقرحا مؤلما في الجهاز التناسلي وقد ينتشر ليكتسح الجلد.
5 - **مرض النضج الجنسي المبكر:** يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها، ويسبب تشوهات بدنية، وأمراضا عصبية ونفسية[21].

ثالثا : المخاطر الاجتماعية : وتمثلت في :

[1] التفكك الأسري : ويحدث ذلك بسبب المشاكل الناتجة عن تحميل كل طرف مسئولية هذا الوضع واتهام الفتاة والدها، أو إخوتها بالذنب، أو بسبب أنانية الأهل وتخليهم عن رعاية الفتاة العانس لانشغالهم بمسئولياتهم وحياتهم الخاصة.

[2] ضعف الروابط الاجتماعية : عدم الزواج يحرم المجتمع من العديد من الروابط الاجتماعية التي تربط الناس برباط المصاهرة والنسب، ناهيك عن غضب بعض الأسر من أقاربهم نتيجة عزوف شبابهم عن الزواج من بناتهم.

[3] انتشار الزواج العرفي في بعض المجتمعات العربية : وذلك بسبب فقدان الأمل بالزواج الشرعي المعلن، حيث تنعكس ثمار هذا الزواج على المجتمع ككل في نزاعات بين أطرافه. فلقد بينت وزارة الشئون الاجتماعية في مصر أن (255000) طالب وطالبة يمثلون نسبة (17%) من طلبة الجامعات قد اختاروا الزواج العرفي[22].

[4] الطلاق : يحدث نتيجة لاندفاع الفتاة العانس إلى الزواج غير المتكافئ للخلاص من واقعها، وقد يحدث ذلك من جنسيات أخرى، وغالبا ما يؤدي ذلك إلى الطلاق.

رابعا : المخاطر والآثار الأخلاقية :

والتي تتمثل في الظواهر الأخلاقية المنحرفة نتيجة سقوط بعض الفتيات الكبار في السن (العانسات) في دوامة الانحلال والفساد الأخلاقي بسبب عدم زواجهن في سن الزواج المعروف في المجتمع، إضافة إلى وجود فئة من الرجال

تشجع هذا الانحلال.

خامسا : المخاطر والآثار الاقتصادية : تمثلت في :

1 انخفاض الإنتاج بسبب عدم كفاءة المرأة العانس أحيانا، أو بسبب المعاناة النفسية التي تحول بينها وبين الإنتاج والعمل المتميز وبسبب نقص اليد العاملة نتيجة قلة المواليد.

2 البطالة: الفتاة العانس قد تضطر إلى العمل من أجل تأمين مستقبلها وغالبا ما تظل فيه لفترة طويلة، وتقبل بأي عرض وظيفي يقدم لها، وهو ما يكون على حساب فرص الشباب في العمل.

3 زيادة التكاليف وذلك لمداواة الأمراض والانحرافات التي تصيب أفراد المجتمع، وتحمل مؤسسات الدولة مصاريف إضافية لدعم المؤسسات الصحية والإصلاحية والقضائية والعقابية، والتي تتشغل بالآثار والنتائج التي أفرزتها هذه الظاهرة الاجتماعية[23].

لا شك أن للعنوسة نتائج مشتركة بين الشرق والغرب، وهو الشعور بالوحدة، الذي يصيب العانس ذكرا، أو أنثى، كما أن العانس تواجه كبت مشاعر الأمومة أو الأبوة، وهذا يعد من الآثار السلبية للعنوسة. كما أن العانس تواجه الأنتقادات، أو تدفع لانتقاد ذاتها لكثرة التعليقات التي توجه لها بسبب كونها فشلت في تكوين حياة زوجية.

الإسلام والعنوسة :

جميع الأديان السماوية بما فيها الإسلام حثت على الزواج، وعلى تشكيل الأسرة وإنجاب الأولاد وتعمير الأرض بالسكان.

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية حدودا شرعية متمثلة في الزواج بأحكامه وقواعده التي تضبط أعمال الإنسان، ثم حذرت الإنسان من تعدي هذه الحدود مائلا إلى الإفراط فيها، كما صدق قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[24].

وقانون الزوجية نظام أزلي يلتئم به شمل كل شيء في هذا الكون، ويصلح به وجوده، وتخرج به ثماره، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[25]. وقال جل شأنه وعلى مقداره: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾[26]. وقوله أيضا تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[27].

ولأن الزواج هو سنة الله في الأرض، فإن العزوف عنه هو تعطيل لهذه السنة الكونية، وهو مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، وتعاليم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

إن العزوف عن الزواج وما يتبعه من مخاطر وآثار جسيمة على الفرد والمجتمع يدخل في نطاق الفساد في الأرض، والتجاهل لقواعد الدين الإسلامي، ولذلك حث الله على الزواج والإسراع فيه لما له من حكم سامية وغايات نبيلة وفوائد جليلة وأمر بتيسير أسبابه وإجراءاته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[28]، وقوله أيضا: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[29].

وقد وعد الله سبحانه وتعالى المتزوج بالغنى والمعونة والرزق إذا اتقى الله وأطاعه واعتمد عليه في كل أموره، وصدق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[30]، وقال بعدها بآية أيضا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[31].

وقال الرسول الكريم ﷺ في ذلك: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[32]، وقال أبو بكر الصديق ﷺ: "أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى"[33]، وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي"[34].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف"[35]، وعن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: "هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء"[36]، وقال عليه الصلاة والسلام: "أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وبدنا على البلاء صابرا، وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها وماله"[37]، وقال ابن مسعود: "لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، وأعلم أني أموت في آخرها يوما، ولي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة"[38].

إن الزواج امتثال لأمر الله ورسوله ﷺ، واتباع سنن المرسلين الذين أمرنا باتباعهم، والاقتداء بهم، فهو تحصين للفرج، وحماية للعرض، وغض للبصر، وبعد عن الفتنة، وفيه تكثير للأمة الإسلامية، وبالكثرة تقوى الأمة، وتتحقق المباهاة للنبي عليه الصلاة والسلام بأمته يوم القيامة إذا التزمن بحدود الله.

وبالزواج تقوى روابط المحبة والصلات بين الأفراد والعائلات والمجتمع بأسره، وبه سلامة من الانحلال الخلقي والأمراض النفسية والبدنية والتناسلية ويحصل به الأجر والثواب العظيم، كما جاء قول الرسول الكريم ﷺ "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت حتى ما تجعل في في امرأتك"[39].

إن هروب الشباب من الزواج ومسئوليته مخالفة للفطرة الإسلامية

وحرمان من زينة الحياة الدنيا، فالعنوسة لها أضرارها على الجنسين، فعمر الفتاة كعمر الزهرة إذا حرمت الزواج المبكر ذبلت، وتحرم من حقها في الحياة الزوجية، ومن عضويتها في المجتمع الصالح كزوجة صالحة وأم مربية حنونة فقال ﷺ: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله،وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت"[40].

وقدر أمر الإسلام بالتيسير في الزواج وإجراءاته، وعدم وضع الشروط التعجيزية، وصدق قول الرسول الكريم ﷺ: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا"[41]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[42]، وقال صلوات الله وسلامه عليه في مجال محاربة المهور وغلائها: "أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة"[43]، وقال أيضا ﷺ: "إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها"[44].

وعلى ذلك فلا يجوز للمسلم، بل يحرم عليه أن يزهد بالزواج ويمتنع عنه وخاصة إذا كان قادرا على الزواج، متيسرا له أسبابه ووسائله، وعليه يحارب الإسلام بشدة العزوبية لأنها تتعارض مع فطرة الإنسان، وتصطدم مع غرائزه وميوله[45]، وصدق قول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسلم: "من كان موسرا لأن ينكح، ثم لم ينكح فليس مني"[46].

والعنوسة إذا انتشرت في مجتمع من المجتمعات أدى ذلك بشبابها وشاباتها الاتجاه إلى حياة المجون وأجواء الفساد والانحلال، وانتشار الأمراض الصحية والجسمية، والأمراض الخلقية من الهوس الجنسي وما يتبعه من أمراض جنسية كثيرة، وضعف الانتباه، وضعف في الذاكرة، وقلق في النفس، والاندفاع نحو الجريمة والمخدرات والمسكرات، والانغماس في مظاهر الفساد والإباحية، إضافة إلى خطرها الاقتصادي وذلك بانهيار قوى العازب، وضعف قوته وقدرته، ويصبح غير قادر على العمل والإنتاجية وتحمل المسئولية، ومن هنا جاء قول النبي ﷺ واضحا حيث بين لأصحابه مرة أن العزاب هم شرار الخلق، وأن الذين يموتون وهم عزاب هم أراذل الموتى، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: "شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم"[47].

ولا شك أن الإسلام قد وضع الحلول القويمة لمواجهة شبح العنوسة وذلك عندما دعا إلى تيسير الزواج، وعدم المغالاة في المهور، كما أن الأخذ بسنة التعدد هي أقوم الطرق وأعدلها لمواجهة المشكلات الاجتماعية المترتبة على انتشار ظاهرة العنوسة، ووجود عدد كبير من المطلقات والأرامل، فلم يشرع الإسلام التعدد إلا لصالح المجتمع وصالح الأسرة، ومعالجة ما قد يصيب أفراد المجتمع من أمراض نفسية واجتماعية وخلقية جسيمة، لقوله تعالى: ﴿فانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾[48]، فعندما أباح الإسلام التعدد لم يبحه عبثا، وإنما لحكمة عظيمة يعلمها كل من يفكر في أحوال المجتمع، لذلك بدأ المجتمع العربي نفسه يدرك أهمية تعدد الزوجات في الحفاظ على المجتمع من الانحرافات الخلقية والاجتماعية ويؤكد ذلك قول **(برتراند رسل)** الكاتب الإنجليزي، حيث قال: "إن نظام الزواج بامرأة واحدة، وتطبيقه تطبيقا صارما قائم على افتراض أن عدد أعضاء الجنسين متساو تقريبا، ومادامت الحالة ليست كذلك، فإن في بقائه قسوة بالغة لأولئك اللاتي تضطرهن الظروف إلى البقاء عانسات".

ولقد تطرق فقهاء الفقه الإسلامي الكرام إلى مشكلة العنوسة من خلال أمرين وهما:

الأمر الأول : مقدار سن العنوسة، فقد جاء في شرح مختصر خليل للخرشي: "العانس هي من طالت إقامتها عند أهلها وعرفت مصالح نفسها ولم تتزوج وحل سنها ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون أو خمسة وثلاثون أو أربعون أو خمس وأربعون أو خمسون أو منها للستين أقوال"[49].

وفي منح الجليل شرح مختصر خليل أن سن العنوسة من الثلاثين إلى الخمس والستين[50].

الأمر الثاني : وهو أمر انتبه له الفقهاء هل تجبر العانس على التزويج فتعامل معاملة البكر، أم لا تجبر وتعامل معاملة الثيب؟ أورد صاحب العناية خلاف الفقهاء في هذا وأدلتهم وإليك قوله: "عنست الجارية وعنست عنوسا: إذا جاوزت وقت التزويج فلم تتزوج فهي في حكم الأبكار، إذ إن إذنها سكوتها، (لأنها بكر) إذ البكر هي التي يكون مصيبها أول مصيب، وهذه كذلك مشتق من الباكورة وهي أول الثمار، ومن البكور وهي أول النهار.

ورد بأنه لو كان كذلك لما تمكن من الرد من اشترى جارية على أنها بكر فوجدها زائلة البكارة بالوثبة، لأنها بكر حقيقة على ما قلتم لكن له أن يردها.

وأجيب بأن الرد باعتبار فوات وصف مرغوب فيه وهو العذرة لا لكونها غير بكر، ولأن النطق سقط للحياء وهو موجود ها هنا، (لأنها تستحي لعدم الممارسة، ولو زالت بكارتها بزنا فهي كذلك عند أبي حنيفة. وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي: لا يكتفى بسكوتها لأنها ثيب حقيقة)، إذ الثيب من يكون مصيبها عائدا إليها مشتق من المثوبة وهي الثواب، وإنما سمي بها، لأنها مرجوع إليها بعد أخرى، ومن التثويب: وهو الدعاء مرة بعد أخرى، وإذا كانت ثيبا فلا يكتفى بسكوتها"[51].

والقصد هنا في هذه النقطة أن الفقهاء لم يتركوا العانس بدون تحديد أو بدون أحكام، وأيضا لإيضاح أن الأمة الإسلامية قديما ظهرت فيها تلك المشكلة فما وضعها

في العصر الحالي.

علاج مشكلة العنوسة :

السؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف يمكن أن نعالج مشكلة العنوسة بحيث يمكن حصر هذا الوباء وعدم تركه يأكل الأخضر واليابس في نفوس البشر؟!!

للإجابة على هذا التساؤل يمكن القول إن الطريقة الجيدة، ولا أقول المثلى، لمعالجة هذه المشكلة هي عن طريق:

1 – وسائل الإعلام المختلفة؛ فلها دور كبير في التوجيه والتوعية بمخاطر هذه المشكلة على الفرد نفسه والأسرة والمجتمع وما ينتج عنها من مشكلات تؤثر على الصالح العام.

2 – محاولة القضاء على الأسباب المؤدية لحدوث هذه الظاهرة، ومن أهمها العادات المتفشية في المجتمع مثل غلاء المهور، وتكاليف الزواج الباهظة، وتزويج الكبيرة أولا في العائلة...الخ.

3 – فهناك من يجعل البطالة عائقا وسببا في تأخر الزواج إلى أن يصبح عانسا، وهذا خطأ، لأن الزواج بركة في حياة الإنسان وكثرة في رزقه، وهذا ما دل عليه قول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[52].

4 – اختيار الزوج وكذلك الزوجة على أسس دينية لا دنيوية، وأن يبنى الزواج على شرطين: الأول هو التدين. والثاني يتمثل في الأخلاق. فمن كان متدينا ذا خلق حسن فهو أهل للزواج، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.

5 – القيام ببرامج تربوية توعوية عن الأمراض النفسية والعضوية الناتجة عن عدم الزواج وذلك من وجهات نظر الاختصاصيين المختلفين في المجالين النفسي والفسيولوجي (العضوي).

6 – كما يمكن علاج ظاهرة العنوسة عن طريق الاهتمام بالمقررات والكتب المدرسية وذلك من أجل إعطاء الفكرة الحسنة عن الحياة الزوجية وما ينتج عنها من نتائج إيجابية، وأن العزوف عنها وينتج نتائج سلبية إحداها العنوسة سواء كان ذلك للذكور أو الإناث، ولأن الوارد في الكتب المدرسية لدينا هي مشكلة الطلاق فقط الناتجة عن الزواج وهي جانب سلبي لا إيجابي.

7 – الاهتمام أيضا بدعم شبكة العلاقات الأسرية والاجتماعية وذلك من أجل تيسير التعارف وتعزيز الثقة المشجعة على الاقتران، وتبسيط أمور وإجراءات الزواج ونفقاته بما يتناسب والظروف الاقتصادية الحالية للشخص.

8 – قيام المجتمع ببعض المشروعات الصغيرة من أجل إتاحة الفرصة للشباب العاطلين عن العمل من أجل الحصول على فرصة عمل وتوفير المال

للشخص غير المتزوج لكي يعيش حالة من الاستقرار والأمـــان والـــزواج وتكوين أسرة.

9 – إنشاء جمعيات أهلية تقوم بتسهيل التعارف وتسهيل إجراءات الزواج لمـــن يريد، وإنشاء صناديق الزواج، وقبول تعدد الزوجات بشروطه الشرعية كجزء من الحل، خاصة إذا عرفنا أن الشباب غير المتزوج غالبا ما يعزف عـــن الاقتران بعانس، خاصة حين يكبر سنها، كما يجب إيجاد جمعيات خاصـــة للنساء العوانس تهتم بمشاكلهن، وكذلك إيجاد سوق خيري يقوم بإيجاد مصادر لتمويل العوائل ذات الدخل المحدود، وتقديم منح للشباب والشابات لتشجيعهم على الزواج.

10 يجب تشجيع الباحثين في علم الاجتماع والنفس لدراسة بوصـــفها ظـــاهرة العنوسة كظاهرة اجتماعية خطيرة وما لها من آثار نفسية جمة، وتخصيص ميزانية من قبل منظمات المجتمع المدني لعمل دراسات ميدانية تضم الشباب والفتيات كل على حدة لتحديد أسباب المشكلة، وإيجاد الحلول علـــى أرض الواقع، ووضع برامج لحل هذه المشكلة. والتفكير في الكثير من الحلول التي يجب طرحها من أجل معالجة هذه المشكلة التي ما تلبث إلا وتصبح قضية عالمية ضخمة.

الخلاصة :

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة، أفرزتها الحياة المعاصرة بصورة واضحة، بل إنها تكبر وتتسع وتفرض نفسها علينا كأمر واقع فتدق أبواب البيوت بقوة بفعل مسيراتها وخطواتها السرطانية السريعة.

ومن المؤسف عدم توافر دراسات وبحوث اجتماعية رصينة لدراسة هذه الظاهرة شكلها في ذلك شكل الظواهر الأخرى، ولا توجد أي أرقام، أو إحصائيات دقيقة وصريحة، تدل على هذه الظاهرة الخطيرة العواقب، وما زلنا نحتفظ بقوالب تقليدية للتفكير السائد في عقول الكثير منا، ولا نحاول بلورة شخصياتنا، وتعديل سلوكياتنا، وتغيير مواقفنا بما ينسجم ومتطلبات الظروف الاجتماعية الجديدة التي أفرزتها الحياة المعاصرة والمعقدة.

عليه فإن الوضع الحالي لمشكلة العنوسة يعلن بإلحاح وبصرخات عالية لجميع فئات المجتمع تيسير شروط وإجراءات الزواج، وكل الحلول الممكنة للقضاء على هذا الشبح الذي يقود الفتيات والشباب بالوقوع في أسره، فيجب أن نزرع في أذهاننا وأذهان أبنائنا وبناتنا عبارة واحدة فقط لا غير ألا وهي "الزواج عبادة" ولو ساد هذا التصور لانكمشت العنوسة.

الهوامش:

(1) سورة الأعراف: الآية 189.
(2) لسان العرب: مادة (ع ن س).
(3) المرجع السابق نفسه.
(4) منصور بن عبد الرحمن بن عسكر: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمستفيدين من الإعانة المالية التي تقدمها جمعيات تيسير الزواج ورعاية الأسرة بالمملكة العربية السعودية، دراسة ميدانية على مدينة الرياض، العدد 22، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، 2007م، ص28.
(5) رواه أحمد في مسنده (24595).
(6) رواه أبو داود ح(2117)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(3300).
(7) سورة الفرقان: الآية 67.
(8) رواه البخاري ح(893)، ومسلم ح(1829).
(9) لمزيد من المعلومات انظر العنوسة في ليبيا، منتدى ليبيا الحرة، Google، ليبيا المنارة.
(10) الإحصائية الرسمية التي نشرتها اللجنة الاجتماعية لمشروع الزواج بالكويت، في جريدة الأمة الإسلامية.
(11) مجلة الفرحة، العدد 15، يوليو 1997م.
(12) جريدة اليوم، بتاريخ (1993/12/13م).
(13) انظر كتاب العنوسة مخاطر وأسرار، بثينة العراقي، دار الرشيد، ص ص30–39.
(14) جريدة الجيران، إحصائية عن نسبة العوانس في العراق، (2002/12/5م).
(15) صحيفة الخليج، الإمارات العربية المتحدة، العدد 8841.
(16) سورة البقرة: الآية 30.
(17) سورة فاطر: الآية 39.
(18) سورة الروم: الآية 21.
(19) انظر تلبيس ابليس لابن الجوزي، ص358.
(20) رواه الإمام أحمد في مسنده ح(12202)، أبو داود ح(2050).
(21) لمزيد من المعلومات عن الآثار الصحية انظر: عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام.
(22) انظر نسبة العنوسة في مصر من خلال كتاب العنوسة مخاطر وأسرار، مرجع سبق ذكره، ص35.
(23) لمزيد من المعلومات عن مخاطر العنوسة، انظر العنوسة مخاطر وأسرار، بثينة العراقي، دار الرشيد.
(24) سورة الطلاق: الآية 1.
(25) سورة الذاريات: الآية 49.
(26) سورة يس: الآية 36.
(27) سورة الأنعام: الآية 98.
(28) سورة الروم: الآية 21

(29) سورة النور: الآية 32.
(30) سورة الطلاق: الآيتان 2-3.
(31) سورة الطلاق: الآية 4.
(32) رواه البخاري ح(5060)، ومسلم ح(1400).
(33) انظر كشف الخفاء، ص304.
(34) رواه الطبراني في الأوسط (294/1)، والبيهقي في شعب الإيمان (382/4).
(35) رواه النسائي ح(3218)، والترمذي ح(1655) وحسنه.
(36) رواه البخاري ح(5069).
(37) رواه الطبراني في الأوسط (179/7)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (756).
(38) رواه سعيد بن منصور في سننه ح(476).
(39) رواه البخاري ح(1296)،ومسلم ح(1628).
(40) رواه البخاري ح(5136)، ومسلم ح(1419).
(41) رواه البخاري ح(1296)، ومسلم ح(1628).
(42) سورة النور: الآية 32.
(43) رواه أحمد في مسنده (24595).
(44) رواه أحمد في مسنده (23957).
(45) انظر عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام.
(46) رواه الطبراني في الأوسط (297/1)، والبيهقي في السنن (78/7)، والحديث مرسل.
(47) رواه أحمد في مسنده ح(20939)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ح(3388).
(48) سورة النساء: الآية 3.
(49) شرح مختصر خليل للخرشي (176/3).
(50) منح الجليل شرح مختصر خليل (103/6).
(51) العناية شرح الهداية (270/3).
(52) سورة النور: الآية 32.